

DOI: 10.54240/2318-014-002-009

ثورة ابن الشريف الدرقاوي وأثرها في العلاقات السياسية بين الجزائر
والمغرب الأقصى مطلع القرن التاسع عشر ميلادي (1805-1813م)
The revolution of Ibn Sharif al-Darqawi and its impact on political
relations between Algeria and Al-Aqsa Morocco at the beginning
of the nineteenth century AD(1805-1813 AD)

اسم ولقب المؤلف المرسل: محمد الصالح طيباوي- Mohammed Salah Taibaoui صص 214-235
الدرجة والعنوان المهني: طالب دكتوراه علوم في التاريخ الحديث- جامعة غرداية- الجزائر.
البريد الإلكتروني: salahtaibaoui83@gmail.com

اسم ولقب المؤلف الثاني: صالح بوسليم- Salah Boussalim
الدرجة والعنوان المهني: أستاذ التعليم العالي- جامعة غرداية- الجزائر.
البريد الإلكتروني: salah_ghar@hotmail.fr

تاريخ استقبال المقال: 2024/06/22. تاريخ المراجعة: 2024/07/10.. تاريخ القبول: 2024/10/13.

الملخص: تسعى هذه الورقة البحثية إلى إبراز أثر ثورة ابن الشريف الدرقاوي في العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب الأقصى مطلع القرن التاسع عشر ميلادي (1805-1813م)، حيث اقتضت بعض الطرق الصوفية على غرار الطريقة الدرقاوية المجال السياسي؛ وانخرط شيوخها وأتباعها في الأحداث السياسية الداخلية بالجزائر والمغرب الأقصى، مما أثروا بشكل مباشر على العلاقات بين البلدين، وظهر هذا الأثر بشكل كبير مع ثورة ابن الشريف الدرقاوي على الحكم العثماني بالجزائر، وقد ساهم في اندلاع هذه الثورة وانتشارها عوامل عديدة بعضها كان دينياً، ومنها ما كان اقتصادياً، غير أن المحرك الأساسي كان سياسياً، وقد برز أثر هذه الثورة في العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب الأقصى من خلال تبادل الرسائل السياسية بين حكام البلدين، وتفعيل الوساطة الدبلوماسية بينهما، ومساهمتها في تعبئة الناس ضد الحكم العثماني بالجزائر، ومحاولة ضم غرب الأيالة للمغرب الأقصى؛ وذلك

بإعلان بيعتين للسلطان المغربي المولى سليمان، كما أدت إلى هجرة قبائل جزائرية بأكملها إلى المغرب الأقصى خاصة القبائل الداعمة لهذه الثورة كقبيلة بني عامر وغيرها.
الكلمات المفتاحية: ثورة؛ ابن الشريف الدرقاوي؛ العلاقات السياسية؛ الجزائر؛ المغرب الأقصى.

ABSTRACT: This research paper seeks to highlight the impact of Ibn al-Sharif al-Darqawi's revolution on the political relations between Algeria and Al-Aqsa Morocco at the beginning of the nineteenth century AD, when some Sufi orders, similar to the Darqawi order, broke into the political sphere, Its sheikhs and followers were involed in the internal political events in Algeria and Al-Aqsa Morocco, which directly affected the relations between the two countries, This impact was greatly evident with the revolution of Ibn Sharif Al-Darqawi against the Ottoman rule in Algeria, It contributed to the outbreak and spread of this revolution many factors, some of which were religious, including what was economical, but the main driver was political, and the impact of this revolution in relations between Algeria and the Al-Aqsa Morocco has emerged from the exchange of political messages between the rulers of the two countries, and the activation of diplomatic mediation between them, And its contribution to mobilizing people against the Ottoman rule in Algeria, and an attempt to include the west of the El-Ayala for the Al-Aqsa Morocco, by announcing two sale the Moroccan Sultan Mawla Souleiman, It also led to the migration of entire Algerian tribes to Al-Aqsa Morocco, especially the tribes supporting this revolution, such as the Beni Amer tribe and others.

Keywords: revolution, Ibn Sharif Al-Darqawi, political relations, Algeria, Al-Aqsa Morocco.

المقدمة: شهدت الجزائر مطلع القرن التاسع عشر ميلادي قيام أكبر وأخطر ثورة شعبية ضد السلطة العثمانية الحاكمة، تزعم هذه الثورة مقدم الطريقة الدرقاوية بالجزائر ابن الشريف الدرقاوي الذي لقي تأييداً واسعاً من قبائل الغرب الجزائري، حيث أثرت هذه الثورة تأثيراً مباشراً على علاقات الجزائر السياسية مع المغرب الأقصى، بل وتركت تجاذبات، وانطباعات امتدت إرهاباتها إلى غاية الغزو الفرنسي للجزائر، وسيرتكر هذا المقال على معالجة إشكالية جوهرية تتمثل في ما مدى تأثير ثورة ابن الشريف الدرقاوي على العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب الأقصى مطلع القرن التاسع عشر ميلادي، وقد قادنا هذا إلى طرح جملة من

التساؤلات نوجزها فيما يلي : من هو ابن الشريف الدرقاوي؟ وما هي أسباب ثورته؟ وما هي أهم أحداثها ومراحلها؟ وما هي آثارها على العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب الأقصى؟

1- **التعريف بابن الشريف الدرقاوي:** هو محمد بن عبد القادر بن الشريف الدرقاوي الفلتي، يعود أصله حسب ما أجمعت عليه المصادر إلى قبيلة بربرية هي "كسانة" القاطنة على ضفاف وادي العبد، جنوب سهل غريس القريب من مدينة معسكر¹، وقد ذكره مسلم بن عبد القادر بأنه: "رجل من أولاد أبي الليل المرابطين بقبيلة الكسانة حي من أحياء العرب البادية متوطناً بوادي العبد،..."²، بدأ ابن الشريف الدرقاوي تعليمه الأول بمسقط رأسه بقرية "أولاد بليل"، ثم انتقل إلى المغرب الأقصى فأخذ العلم عن علماء فاس، كما درس بزواية بوبريج أين التقى بالشيخ مولاي العربي الدرقاوي الذي لقنه مبادئ الطريق الدرقاوية، وعينه مقدماً لها بالجزائر³.

عند عودة ابن الشريف إلى الجزائر أسس زاوية بمسقط رأسه لتلقين الناس أوراد ومبادئ الطريقة الدرقاوية، حيث عكف على الانتقال عبر مناطق البلاد للدعوة إلى طريقته الجديدة، بعدما ترك تعليم القرآن للطلبة، إذ لبس الخرق المرقعة، وعلق البابوش، وركب الكلخ، وابتدع أمور يمجها الطبع، وينكرها الشرع⁴، غير أن دعوة ابن الشريف وجدت صدى كبير في أوساط السكان خاصة سكان الصحراء، فزاد احترامهم وتقديرهم له، وتوالت عليه الهدايا من كل الجهات⁵.

كانت تنقلات ابن الشريف تارة لجمع الأموال لزوايته، وتارة أخرى لدعوة الأتباع، والأهالي الذين كانوا كلما يلتقون به يشكون له ما أصابهم من ظلم الأتراك جراء ما كان يفرضونه من

1- محمد بن يوسف الزباني- دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران- تقديم المهدي البوعبدلي-الجزائر- 2007- ص208.

2- مسلم بن عبد القادر الوهراني- تاريخ بايات وهران المتأخر أو خاتمة أنيس الغريب والمسافر-تحقيق راجع بونار-الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر- 1974- ص71.

3- ابن سحنون الراشدي- الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني- تحقيق المهدي البوعبدلي- مطبعة البعث - قسنطينة - 1973 ص 39 .

4- الأفا بن عودة المزاوي- طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر- تحقيق ودراسة يعي بوعزيز - دار البصائر- الجزائر- ج2، ص 302.

5- محمد بن يوسف الزباني- المصدر السابق- ص 208.

ضرائب باهظة، فكان يعدهم بالفرج القريب، ويحثهم على الصبر، مؤكداً لهم أن ذلك الوضع لن يدوم¹، كما كان ابن الشريف يأخذ الأموال والهدايا إلى زاوية بوبرج ببني زروال؛ حيث يلتقي هناك بشيخه مولاي العربي الدرقاوي، ويخبره عن الأوضاع السائدة في الجزائر وعن المحنة التي يعيش فيها الناس من ظلم الأتراك وجورهم².

2- أسباب قيام ثورة ابن الشريف الدرقاوي: اجتمعت العديد من الأسباب التي عجلت بقيام هذه الثورة؛ نذكر منها ما يلي:

1.2- تهميش الحكام العثمانيين بالجزائر للسكان المحليين: عمل الأتراك العثمانيين طوال تواجدهم بالجزائر على إبقاء السكان المحليين بعيدين عن أية مساهمة في تسيير أمور الأيالة حيث كانت نظرهم للأهالي تتسم بالحيطة والحذر والخوف من انفلات السلطة من بين أيديهم، فأصبحت كل المناصب العالية والرتب السامية مقصورة عليهم، أما بقية المجتمع فكان ذليل، وحتى القوانين التي سنوها لم تكن عادلة بل مجحفة وقاسية³.

إن الأتراك العثمانيين لم يندمجوا بالأوساط الشعبية المحلية، ما يفسر رغبتهم في إبقاء هيمنتهم وسيطرتهم على المناصب الحكومية بالجزائر، فسياسة تهميش السكان المحليين في الممارسة السياسية، وتولي المناصب العليا، وخاصة الطبقة المتعلمة والأعيان؛ قد ولدت قطيعة بين الأهالي والعثمانيين⁴، وبذلك تهاوت القاعدة الشعبية للأتراك العثمانيين التي كانت تساندتهم وتؤازرهم في بداية تواجدهم بالجزائر.

وقد كانت السلطة العثمانية تعمل دائماً على خلق العداوات بين مختلف القبائل حتى لا تجد من يعارض مشاريعها، أو يقف في وجهها إذا ما أرادت القيام بأي شيء، ولكي لا يتحد الأهالي فيشكلوا قوة ضاربة قد تقضي على الحكام أنفسهم، فهذا التخوف من السكان المحليين هو الذي حال دون اندماج الأتراك في المجتمع الجزائري، وجعل السكان يبتعدون

1- مسلم بن عبد القادر الوهراني- المصدر السابق- ص 72.

2- الأغا بن عودة المزاري- المصدر السابق- ص 303.

3- الغالي الغربي- "الحياة السياسية في نياحة الجزائر إبان عصر الدايات ثورة ابن الشريف الدرقاوي ضد الأتراك في مطلع القرن التاسع عشر"- مجلة الدراسات التاريخية- العدد 10- جامعة الجزائر- 1997- ص 165.

4- حنيفي هلايلي- "الثورات الشعبية في الجزائر أواخر العهد العثماني كرد فعل على سياسة التهميش"- مجلة جامعة الأمير عبد القادر- قسنطينة- العدد 20- ربيع الأول 1427هـ- أفريل 2006- ص 190.

عنهم ويعتبرونهم من الأجانب¹، رغم توفر العامل الديني المشترك الذي كان يعد المحرك الأساسي في ذلك العصر.

بالرغم من أن الحكام العثمانيين كان بمقدورهم استغلال المكانة التي كان يتمتع بها أسلافهم لدى السكان لكسبهم لصفهم، إلا أن هؤلاء الحكام وخاصة الأواخر منهم أهملوا ذلك، بل وانعزلوا عن السكان وأقاموا بينهم حواجز من الوسطاء²، فسياسة التهميش التي انتهجها الحكام العثمانيين ضد السكان المحليين أدت إلى إحداث خلل في العلاقات بين السكان والسلطة الحاكمة، وهو ما انعكس سلباً على الأوضاع الاجتماعية للسكان، مما أدى إلى توفر الظروف المواتية لاندلاع الثورات.

2.2- فرض الضرائب الباهظة على السكان المحليين: شهدت الجزائر مطلع القرن التاسع عشر ميلادي تراجعاً كبيراً لغنائم الغزو البحري المصدر الأساس لخزينة الأيالة؛ ويعود ذلك إلى ضعف الأسطول البحري نتيجة تبدل الظروف الدولية، وانقلاب موازين القوى، ما انعكس سلباً على الوضع الداخلي للجزائر، حيث لم تجد حكومة الأتراك مصدراً ثابتاً يمول الخزينة³، فتحوّلت اهتمامات الحكام العثمانيين بالموارد الداخلية لسد العجز الذي عرفته مداخيل الخزينة، مما دفعهم لزيادة الاعتماد على الموارد الضريبية⁴، لكن هذا التحول كانت نتائجه وخيمة على السكان المحليين، وعلى مستقبل الوجود العثماني في الجزائر، لأنه لم يعتمد على سياسة مدروسة مسبقاً⁵، حيث كان جل اهتمام الحكام العثمانيين ينصب على فرض ضرائب قاسية على السكان، وكانت حملات الجباية خاصة في عهد الحكام الأواخر تأخذ الطابع الواسع والوحشي، وهذا ما أشار إليه الزهار بقوله: "...هكذا وضع الأوائل الجباية على المنهج الشرعي

1- محمد العربي الزبيري- التجارة الخارجية للشرق الجزائري (1792-1830 م)- ط2- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر- 1984- ص 23 - 24.

2- نفسه، ص 24.

3- ناصر الدين سعيدوني- المهدي البوعبدلي- الجزائر في التاريخ العهد العثماني- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر- 1984- ص 3: 108.

4- محمد خير فارس- تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي- ط2- مكتبة دار الشرق- بيروت- لبنان- 1979- ص 78.

5- الغالي الغربي- المرجع السابق- ص 167.

والأواخر صاروا يخرجون المحلات لاستخلاص المغارم والظلمات ونهب أموال المسلمين، وما وقع هذا حتى صار الناس فجاراً والأمراء ظالمين..¹

إذ اعتمد الحكام العثمانيين في هذه الفترة اعتماداً كلياً على الضرائب دون الاعتماد على مصادر أخرى، وفي هذا الشأن يقول ابن سحنون: "... وفرضوا على الناس المغارم شتاءً وصيفاً وعينوا الجند عطاءً مخصوصاً وضربوا عليهم البعوث تخرج كل سنة أواسط أفريل إلى عمال الجباية فمنها من يرجع إلى الجزائر بعد أربعة أشهر ومنها من يرجع بعد سنة²، وكثيراً ما كان الحكام العثمانيون يجهزون الحملات العسكرية لهذا الغرض، وذلك لإرغام السكان على دفع ما فُرض عليهم، ويرى الباحث ناصر الدين سعيدوني أن نظام الجباية العثماني لم يكن عادلاً لأن القائمين عليه لم يراعوا طبيعة الإنتاج، ولا وضعية الفلاحين وحالتهم، فهم لا يأخذون بعين الاعتبار إلا نوعية الملكية، ومتطلبات الخزينة، وحاجة الموظفين، مما زاد من شقاء وبؤس الفلاحين³.

إن الحكام العثمانيين لم يبذلوا جهداً لربط علاقات متينة مع السكان المحليين، وما كان يربطهم بالرعية خاصة في أواخر حكمهم هو الجانب المالي فقط، لذلك اهتموا بجباية الضرائب، وتخصيص مواردها لضمان مصالحهم، وامتيازاتهم الخاصة، ما أثار حفيظة السكان، وعلى رأسهم شيوخ الطرق الصوفية الذين تزعم بعضهم ثورات شعبية ضد سياسة الحكام العثمانيين الأواخر، هذه الثورات جاءت كرد فعل على السياسة الجبائية التعسفية التي أنهكت الأهالي خاصة بعد تضائل دور هؤلاء الشيوخ في التوفيق بين متطلبات الحكام المالية، وبين السكان المتأثرين بنفوذهم الروحي⁴.

1- أحمد شريف الزهار- مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر (1754-1830م)- تحقيق وتقديم أحمد توفيق

المدني- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر- 1974- ص 35.

2- ابن سحنون الراشدي- المصدر السابق- ص 442.

3- ناصر الدين سعيدوني- المهدي البوعبدلي- المرجع السابق- ص 33.

4- ناصر الدين سعيدوني- النظام المالي الجزائري أواخر العهد العثماني- ط3- دار البصائر- الجزائر- 2012- ص 60.

3.2- التحرير النهائي لمدينة وهران: لقد كان الوجود الإسباني بالسواحل الجزائرية خاصة بوهـران والمرسى الكبير مصدر تحالف بين العثمانيين والجزائريين¹، فالجهاد البحري أكسب العثمانيين المجد، وجعل الأهالي يقفون إلى جانبهم للدفاع عن البلاد، ويصفونهم بالمنقذين، فعاملا الدين والجهاد جعل الجزائريين يقبلون بتواجد العثمانيين²، خاصة وأن صراع العثمانيين ضد الأسباب اتخذ صبغة دينية، مما سمح لهم بكسب تأييد شيوخ الصوفية لفترة طويلة، غير أن هذا التقارب الذي فرضته المصلحة المشتركة تحول إلى نفور، وتباعد بعد انحصار الجهاد، إذ كانت قضية تحرير لوهران الحلقة الأخيرة التي حافظت على تماسك علاقة العثمانيين بشيوخ الطرق الصوفية.

إلا أن استرجاع مدينة وهران عام 1792م أزال المبرر الرئيسي للوجود التركي الثقيل، ولتحمل السكان لأذاه³، فتحرير وهران يعتبر نقطة تحول بارزة في علاقة الحكام العثمانيين بالسكان المحليين، وخاصة شيوخ الصوفية، فبالرغم من أساليب الأتراك التعسفية كان السكان يتحملون ذلك على مضض بسبب وجود الأسباب فقط، كما أن الحكام العثمانيين لم يعد يشغل بالهم بعد جلاء الأسباب إلا تثبيت وجودهم داخل البلاد بشق الطرق غير مبالين بحالة السكان، ولا برأي الأعيان، ومشايخ الصوفية.

4.2- تشجيع الشيخ العربي الدرقاوي لأبن الشريف للقيام بالثورة ضد العثمانيين: كان أتباع الطريقة الدرقاوية بالجزائر وعلى رأسهم "عبد القادر ابن الشريف" على علاقة مباشرة مع مؤسس الطريقة الشيخ مولاي العربي الدرقاوي المقيم بالمغرب، إذ كان ابن الشريف يزور شيخه سنوياً إلى قرية بني زروال في ضواحي مدينة فاس، ويأتي له بالهدايا، وقد أشار إلى ذلك أبو زيان الغريسي الذي رافق الشيخ العربي الدرقاوي مدة عشرين سنة بقوله: ".. وكان رحمه الله (عبد القادر بن الشريف) يزور الشيخ مرة في السنة في ركب من أصحابه، ويأتي له بزيارة كبيرة عبيداً وابلاً وبغلاً وفرساً وعروصاً ودراهم ودنانير وحلياً وغير ذلك، ولا يترك بداره شيئاً

1- أبو القاسم سعد الله- تاريخ الجزائر الثقافي من القرن 10 إلى 14هـ (16-20م)- ط1- دار الغرب الإسلامي- بيروت- 1998- ج1- ص 137.

2- نفسه- ص 190.

3- الغالي الغربي- المرجع السابق- ص 169.

حتى حلهم ولباسهم إلا ما لا بد منه، ولا يرجع من الزيارة حتى يجد عندهم أكثر مما أخذ لهم وهكذا في كل مرة"¹.

وفي كل زيارة كان ابن الشريف يشكو إلى شيخه الدرقاوي ما يلقاه أتباعه من اهانة، وظلم من طرف الأتراك العثمانيين واستيائهم من حكمهم، وثقل الضرائب عليهم، ويروي لنا الزياني ما قاله ابن الشريف في إحدى زيارته لشيخه: "...يا سيدي إن بوطنا قوما يقال لهم الترك لا شيء لهم من دعائم الإسلام، ويظلمون الناس ولا يعبؤون بالعلماء والأولياء نسال منك أن يكون هلاكهم على يدي لتستريح منه العباد، وتطهر منهم البلاد، فقال له (شيخه) عليك بجهادهم وقتالهم وأن الله ينصرك عليهم بكمالهم..."²، وفي رواية المزاري قال له شيخه: "أنصرهم والله ينصرك عليهم"³، وهذا ما يدل على تشجيع الشيخ مولاي العربي الدرقاوي لابن الشريف للقيام بالثورة ضد حكم العثمانيين بالجزائر.

3- مراحل ثورة ابن الشريف الدرقاوي:

1.3- مرحلة التفوق الدرقاوي: بعدما زاد نفوذ ابن الشريف الدرقاوي وشعبيته والتفاف السكان حوله بدأ يعد ويحضر للثورة، وذلك بجمع أكبر عدد ممكن من الأنصار، ولما أتم استعداداه أعلن الثورة ضد العثمانيين مستغلاً فرصة هزيمة إحدى الحاميات التركية أمام قبائل الأنجاد المتمردة ضد السلطة العثمانية، وتوجه برجاله نحو البطحاء على ضفاف وادي مينة⁴، حيث أقام معسكره، وأذن لأتباعه بنهب أموال وممتلكات محلة الباي.

لما وصلت أخبار ذلك إلى عاصمة بايلك الغرب، قام الباي مصطفى العجيجي بتجهيز جيش كبير تسانده قبائل المخزن، واتجه به نحو ابن الشريف قرب وادي مينة حيث التقى الطرفان بقرية فرطاسة، إذ وقعت بين الطرفين معركة كبيرة، وكان ذلك في ربيع 1805م⁵، حيث اشتد القتال بينهما، ودارت الدائرة على الجيش التركي، حيث فر الباي بعد أن تفرق

1- أبو زيان الغريسي - كنز الأسرار في مناقب مولانا العربي الدرقاوي وبعض أصحابه الأخيار- الخزانة العامة بالرباط- د 2339 ص 86-89.

2- محمد بن يوسف الزياني- المصدر السابق- ص 208.

3- الأغا بن عودة المزاري- المصدر السابق- ص 303.

4- مسلم بن عبد القادر الوهراني- المصدر السابق- ص 72.

5- ابن سحنون الراشدي- المصدر السابق- ص 39.

جيشه؛ وقد وصف مسلم بن عبد القادر هذه المعركة بقوله: "...فأُمسى الباي ومخزنه في نكد، وأصبح الدرقاوي وأتباعه في رغد..."¹، وقد مات في هذه المعركة خلق كثير منهم كاتب الباي أحمد بن هطال التلمساني، وأبو عبد الله محمد الغزلاوي، وفر الباي إلى مدينة معسكر على إثر هذه الهزيمة على فرس من دون سرج، ثم غادرها نحو وهران.²

قام ابن الشريف بمطاردة فلول جيش الباي المنسحبة حتى أسوار مدينة معسكر، ولم ينتظر وصول النجدات إليها، حيث قرر دخولها بالقوة، ولم تصمد المدينة كثيراً حتى استسلمت له³، بعد أن قبض على القائد "أبو محمد بن إسماعيل البحتاوي"، وسجنه، وجعل ابن الشريف مدينة معسكر مقراً إقامة له ولأسرته، وقاعدة حربية لجيشه.⁴

بعدما استولى ابن الشريف على معسكر حاول إحكام سيطرته على معظم بايلك الغرب، فاستطاع مد نفوذه من مليانة إلى تلمسان، وقد أجبر معظم الحاميات التركية الموجودة في تلك المدن على الانسحاب نحو المناطق الساحلية، حيث انقطعت عنها كل الطرق باستثناء الطريق البحري الذي كان المنفذ الوحيد لها لإيصال الإمدادات إلى مدينة وهران.⁵

بعدما أنهى ابن الشريف تحضيراته شرع في الزحف على مدينة وهران محاولاً فتحها عنوة، لكنه فشل لأن سكانها تاهبوا من أجل الدفاع عن مدينتهم، فاضطر ابن الشريف لمحاصرتها، وقطع الإمدادات عليها، ودام حصاره لها مدة ثمانية أشهر، لذلك حاول الداي تجهيز جيش بقيادة مستشاره "علي أغا" لنجدة المدينة المحاصرة، غير أن القبائل الثائرة اعترضت طريقه، وألحقت به خسائر فادحة، حيث منعه من المرور في بلادهم، فعاد الجيش إلى مدينة الجزائر دون أن يكمل مهمته.⁶

1- مسلم بن عبد القادر الوهراني- المصدر السابق- ص 73.

2- الأغا بن عودة المازري- المصدر السابق- ص 304.

3- الغالي الغربي- المرجع السابق- ص ص 171-172.

4- الأغا بن عودة المازري - المصدر السابق- ص 306.

5- محمد بن عبد القادر - تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر- المطبعة التجارية- الإسكندرية- 1903 - ص 115.

6- نفسه.

بعدها فشل الباي مصطفى المتزلي في فك الحصار، وهزيمة الدرقاوين؛ قام الباي أحمد باشا بتنحيته، وتعيين الباي محمد بن عثمان الملقب بالملش بدلاً منه، حيث اتجه الباي الجديد قاصداً مدينة وهران مع فرقة من الجنود، وذلك عن طريق البحر¹.

2.3- مرحلة التراجع الدرقاوي: بعدما وصل الباي الجديد محمد المقلش إلى مدينة وهران وجدها محاصرة من طرف ابن الشريف وأتباعه، وحتى أبوابها الخمسة وجدها مغلقة، فبدأ الباي بمهاجمة قوات ابن الشريف، واستطاع تفريقها، كما تمكن من فتح أبواب المدينة، وجعل الناس أحراراً في دخول المدينة أو الخروج منها²، وأعاد الحياة لسكانها، حيث استقر الباي في منصبه، ونظم جيشه، وشرع في مطاردة الدرقاوين، وإخضاع البايك، وقد صمم الباي المقلش على محاربة الدرقاوين بعد أن أحس أن حركة ابن الشريف الدرقاوية لم تكن دينية محضة، كما يدل عليها ظاهرها، وإنما لها طابع سياسي³.

فشل ابن الشريف في دخول مدينة وهران، وتراجع بجيشه عنها نحو مدينة معسكر، فهاجمته القبائل كقبيلة الغرابة، وتعرضوا له بالقتل والنهب والسبي، ولما وصل إلى منطقة "سيدي المبارك" قرب "وادي هبرة" هاجمته قبائل البرجية، وهزموه هزيمة شنعاء تكبد فيها الدرقاوين خسائر فادحة في الأرواح، وتشتت قواتهم، حيث فر ابن الشريف مع قلة من جيشه إلى معسكر التي لم يستقبله أهلها⁴.

قام ابن الشريف الدرقاوي بجمع جيش من جديد بعدما تحالفت معه قبائل المهاجر، وبني عامر، حيث هاجم محلة الباي في موقعة "وادي المالح" لكنه انهزم أمام قوة جيش الباي المقلش، ولم ينج من جيش الدرقاوي سوى من فر إلى قبة "سيدي محمد بن عودة"، لكون الباي أوصى جنوده بعدم التعرض لمن لجأ إلى قبة هذا الوالي⁵، إلا أنه تم القضاء على جموع الدرقاوين الذين كانوا خارج القرية، وقد مكث الباي المقلش أياماً في مدينة معسكر لتعقب

1- مسلم بن عبد القادر الوهراني- المصدر السابق- ص 76.

2- الأغا بن عودة المزاري- المصدر السابق- ص 309.

3- أبو القاسم سعد الله- المرجع السابق- ص 221.

4- الأغا بن عودة المزاري- المصدر السابق- ص 312.

5- نفسه- ص 315.

ابن الشريف وأتباعه، وكذا تتبع القبائل المتحالفة معه كقبيلة بني عامر، حيث التقى الباي بجموع الدرقاويين في منطقة "تاسالة" واستطاع هزيمتهم هزيمة منكرة.¹

كان ابن الشريف الدرقاوي كلما انهزم في معركة إلا وظهر من جديد في منطقة أخرى بقواته مهدداً السلطة العثمانية، لكن الباي المقلش عزم القضاء عليه، حيث كلما سمع بابن الشريف في منطقة إلا واتجه نحوه وهزمه، وفرق جيشه، غير أن الداوي قام بتنحيته وعين مكانه مصطفى العجي باياً للمرة الثانية سنة 1807م.²

4- أثر ثورة ابن الشريف الدرقاوي على العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب الأقصى: شكلت ثورة ابن الشريف الدرقاوي منعطفاً حاسماً للطريقة الدرقاوية بالجزائر، وتهديداً خطيراً للسلطة العثمانية، حيث أثرت تأثيراً مباشراً على علاقة الحكام العثمانيين بالسكان؛ وخاصة أتباع الطرق الصوفية، كما امتدت تأثيراتها حتى على العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب الأقصى؛ وذلك من خلال:

1.4- تبادل الرسائل بين الحكام العثمانيين بالجزائر و السلطان المغرب المولى سليمان : بعد الانتصارات الكبيرة التي حققها ابن الشريف الدرقاوي في بايلك الغرب، ثم حصاره لمدينة وهران، تزايدت شكوك الحكام العثمانيين في تورط سلطان المغرب المولى سليمان في أحداث هذه الثورة، خاصة وأن ابن الشريف لقي تأييداً، وتشجيعاً من شيخه العربي الدرقاوي المقيم بفاس تحت نظر السلطان سليمان، وأن هكذا أمر لن يحدث دون موافقة السلطان، أو علمه على الأقل، مما دعا داي الجزائر إلى مراسلة السلطان سليمان من أجل أن يرسل الشيخ العربي الدرقاوي ليكف مريده المتمرد عن الثورة³، ومما جاء في رسالة الداوي : "...إن أسلافكم ملوك الدولة العلوية، مع ملوك الدولة التركية كانوا يداً واحدة لا تشاجر بينهم، غير أن هذا

1- مسلم بن عبد القادر الوهراني- المصدر السابق- ص 53.

2- محمد بن يوسف الزباني- المصدر السابق- ص 225.

3- حسين جيلالي بن فرج- دحو فغرور- "موقف المولى سليمان العلوي من انتفاضة درقاوة على ضوء رسالته لباي وهران محمد المقلش"- مجلة عصور- المجلد 13- العدد 01- جامعة وهران- الجزائر- جانفي- جوان 2018- ص 267.

القائم علينا درقاوي الوسيلة، وشيخه من إياكتم بجبال الزيبب ببني زروال، وهو الذي يمدّه بطائفته، فرأس الحية عندكم وذنبا عندنا"¹.

كما أشار الناصري إلى هذه الرسالة، والتي يطلب فيها الداوي من السلطان سليمان؛ إرسال الشيخ العربي الدرقاوي للتوسط لدى مقدمه ابن الشريف وإقناعه بإنهاء تمرده ضد السلطة العثمانية، وما جاء على لسان الناصري قوله: "ولما مني الباي منهم بالداء العضال، كتب إلى السلطان المولى سليمان يعرفه بما دهاه منهم، ويطلب منه أن يبعث إليهم شيخهم أبا عبد الله المذكور ليكشفهم عنه ويراجعوا طاعة المخزن..."²، وقد أجاب السلطان سليمان طلب الداوي، واتصل بالشيخ العربي الدرقاوي، وطلب منه السفر للمنطقة.³

إن المهمة التي أوكلت للشيخ العربي الدرقاوي، والدور الذي لعبه في أحداث هذه الثورة لا يزال غامضاً، إذ اتهمه الكاتب الكنسوسي بإشعال نار الفتنة بدل إطفائها، وذلك حين أشاع بين أتباعه بالجزائر أن ما يقومون به إنما هو بالاتفاق مع السلطان سليمان، وهو ما اعتبره الكنسوسي تحايلاً، وكذباً ومخادعة من الشيخ الدرقاوي⁴، كما يرى أبو القاسم الزياني أن الشيخ الدرقاوي أيد تلميذه ابن الشريف، بقوله: "... أن الشيخ الدرقاوي لما وصل لمحلة ابن الشريف استأسد، وظهر منه العجب، وصار يقول للعرب أن الترك أدبرت أيامهم، وأن الله ملككم أرضهم"⁵، وهذا ما ذهب إليه الناصري الذي قال: " أن ابن الشريف وهو في جموعه بظاهر وهران فشكا إلى الشيخ... عسف الترك وجورهم... فتوقف الشيخ، وربما صدر منه

1- عبد الحق شرف- "الجسام المشرفي لقطع لسان الساب الجعري الناطق بغرافات الجعسوس ميء الظن الكنسوس دراسة وتحقيق"- أطروحة دكتوراه في التاريخ- قسم الحضارة الإسلامية- جامعة وهران- 2010/2011- ص 395.

2- أحمد بن خالد الناصري- الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى - تحقيق وتعليق جعفر الناصري- محمد الناصري- دار الكتاب- الدار البيضاء- 1997- ج 8- ص 110.

3- أبي عبد الله محمد بن أحمد الكنسوسي- الجيش العرمم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماي- تحقق وتقديم أحمد بن يوسف الكنسوسي- ج 1- ص 284.

4- أبي عبد الله محمد بن أحمد الكنسوسي- المصدر السابق- ص 284.

5- محمد الخداري- "دور الزوايا والطرق الصوفية في العلاقات بين المغرب وولاية الجزائر حالة الزاوية الدرقاوية من 1786 إلى 1823م"- أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث- كلية الآداب- الرباط- 2004/2005- ص 243.

بعض تقبيح لفعل الترك، وما هم عليه، فازدادت العرب بذلك تظاهراً على الترك، وتكالباً عليهم، فاتهم الباي السلطان بأنه الذي يغريهم..."¹

ويفهم مما سبق أن لقاء الشيخ العربي الدرقاوي بتلميذه ابن الشريف لم يزد الثورة إلا لهيباً وأن الروايات التي أوردناها أعلاه تؤكد ذلك، وكلها تتحدث عن مساندة الشيخ الدرقاوي لأتباعه وتشجيعه لهم على الاستمرار في الثورة، والاتفاق معهم على خلع طاعة الأتراك، بينما يرى آخرون أن الشيخ الدرقاوي أنكر على تلميذه فيما ذهب إليه، وأن ابن الشريف أعطى معلومات مغالطة لشيخه عن الأتراك كما دافع شيخه درقاوة بالجزائر عن شيخهم، وذكروا أن مساعيهم تكلفت بالنجاح، على غرار العربي المشرفي الذي قال عن شيخه: "...ذهب بنفسه رضي الله عنه ممثلاً لكلام السلطان... فلقي مريده وكفه عنهم..."².

2.4- بيعة ابن الشريف وأتباعه وبعض قبائل تلمسان لسلطان المغرب المولى سليمان:
بعدما تم فك الحصار عن مدينة وهران، توجه ابن الشريف وأتباعه لمحاصرة مدينة تلمسان، ويذكر الناصري أن سكان تلمسان اتفقوا على خلع طاعة العثمانيين، ومبايعة السلطان سليمان، ففتحوا باب المدينة لابن الشريف؛ فدخلها مع أتباعه، وأخذ البيعة بها للسلطان سليمان، وخطب له على منابرهما، كما وجه هديته، ووفده إلى السلطان سليمان مع شيخه مولاي العربي الدرقاوي³.

أثناء مكوث الشيخ العربي الدرقاوي بمدينة تلمسان رفقة تلميذه ابن الشريف، بعث برسائل للسلطان سليمان يخبره فيها بقدمه ببيعة ابن الشريف وأتباعه، حيث تشير بعض الدراسات إلى أن الشيخ العربي الدرقاوي إنما كان يتصرف بالفعل بأمر من السلطان سليمان⁴. وما يؤكد تورط السلطان سليمان في هذه الثورة رسالة بعثها إلى الشيخ العربي الدرقاوي موقعة بتاريخ 16 جمادى الأخير 1220 هـ / 11 سبتمبر 1805 م خاطبه فيها بقوله: "...الشريف الحسني الفقيه البركة سيدي العربي الدرقاوي سلام عليك ورحمة الله وبركاته، وبعد، فقد

1- أحمد بن خالد الناصري- المصدر السابق- ص 110.

2- عبد الحق شرف- المرجع السابق- ص 395.

3- أحمد بن خالد الناصري- المصدر السابق- ص 110.

4- خالد طحطح- "صراعات الزوايا والسلطة في المغرب خلال عهد الدولة العلوية من خلال مسارات متقاطعة- مؤسسة مؤمنون بلا حدود- الرباط- المملكة المغربية- 2015- ص 11.

بلغنا كتابك فجازاك الله خيراً عن نصحك للمسلمين، فإننا لا نريد إلا العافية والهناء لهم، ولذلك وجهناك، وما ذكرت من قدومك ببيعة ولدكم السيد عبد القادر بن الشريف مع أصحابه فمرحّباً به، وبأصحابه، فالله يوفقه للخير ويعينه عليه، ... وإذا قدمت علينا نثاوير معك في أمر تلك الناحية، وما تشير به علينا يكون العمل به إن شاء الله، لأنه ليس من رأي كمن سمع والسلام ..."¹.

وما يؤكد ذلك أيضاً ما قام به السلطان سليمان لما وجه رسالة إلى أهل مدينة الرباط يخبرهم فيها ببيعة أهل تلمسان له، ويبدو أنه قبلها حسب ما ذكره الضعيف الرباطي بقوله: "وفي يوم الخميس 17 جمادى الثانية عام 1220 هـ ورد كتاب السلطان على أهل الرباط بأن أهل تلمسان وفدوا بالبيعة على مولانا سليمان وأتوا مع مولانا العربي الدرقاوي، وفي الغد زين سوق الرباط وسلا وتحزموا للعب بالبارود..."²،

من خلال هذه الرسائل يتضح أن السلطان لم ينكر ما قام به الشيخ العربي الدرقاوي ولم يرفض قدوم ابن الشريف بالبيعة، وكان راضياً لمبايعة سكان تلمسان له، بل وبشر سكان الرباط بذلك، وهذا دليل يؤكد سعي السلطان سليمان لتحقيق الأغراض التقليدية لسلطين الدولة العلوية الطامحين لضم الأراضي الجزائرية، لأنهم يعتقدون بأحقيتهم في حكم بلاد المغرب بدلاً من الأتراك العثمانيين، نظراً لنسبهم الشريف.³

وما يدل على أن السلطان سليمان قبل البيعة قبل عودة الشيخ العربي الدرقاوي إلى المغرب؛ أنه قرر التحرك عسكرياً إلى غرب الجزائر في فصل الربيع، وذلك حسب الرسالة التي بعثها إلى الشيخ العربي الدرقاوي في شعبان 1220 هـ/نوفمبر 1805 م؛ أوردها محمد البشير الفاسي في كتابه، وما جاء فيها: "...محبنا الفقير الشريف مولاي العربي الدرقاوي، فقد وصل كتابك وعرفنا ما فيه وبلغنا كتاب الشريف سيدي عبد القادر، وكتبنا له الجواب فإن الذي ظهر لنا من الرأي تأخير هذا الأمر إلى خروج فصل الشتاء ودخول فصل الربيع فهو أليق

1- محمد البشير بن عبد الله الفاسي- قبيلة بني زروال مظاهر حياتها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية- مطبوعات المركز الجامعي للبحث العلمي- كلية الآداب- الرباط- 1962- ص 45.

2- محمد بن عبد السلام بن أحمد بن محمد الرباطي- تاريخ الضعيف الرباطي- دراسة وتحقيق محمد البوزيدي الشيعي- ط2- دار الثقافة- الدار البيضاء- المغرب- مجلد 2- ص 632.

3- الغالي الغربي- المرجع السابق- ص 170.

وأصلح، إذ وقت الشتاء لا يتحرك فيه أحد، فإذا خرج الشتاء نتوجه بحول الله وقوته بأنفسنا وعساكرنا المظفرة ويكتمل الفتح إن شاء الله، فأكد على سيدي عبد القادر إذا سمع بوصولنا إلى وجدة أو تلمسان يقدم علينا إن شاء الله، في متمم شعبان 1220 هـ.¹

ومن خلال ما جاء في هذه الرسالة يظهر الاستعداد الكامل، والنية المبيتة للسلطان سليمان للتدخل في المنطقة الغربية للجزائر، مستغلاً نفوذ الشيخ العربي الدرقاوي على أتباعه بالجزائر، ويبدو أن الذي أعاق السلطان سليمان عن تحقيق أهدافه التقليدية للتوسع على حساب الجزائر؛ كانت الظروف الطبيعية فقط.

بعد وصول الشيخ العربي الدرقاوي للمغرب حاملاً معه بيعة ابن الشريف صحبة وفد أهل تلمسان وبيعتهم، اجتمع بالسلطان سليمان الذي تردد في قبوله النهائي للبيعة خوفاً من الدخول في مواجهة عسكرية مع العثمانيين، فترث وطرح المسألة على العلماء للتشاور، إذ كان ردهم شرعي برفض قبول بيعة سكان مسلمين هم تحت حكم سلطان مسلم آخر، ولم يجد السلطان سليمان مخرجاً من هذه النازلة إلا بإنكار تصرفات الشيخ العربي الدرقاوي، ومقدمه ابن الشريف.²

3.4- مراسلة سلطان المغرب المولى سليمان لباي بايلك الغرب الجزائري: تذكر المصادر المغربية أن السلطان سليمان سأل "الحاج الطاهر بادو المكناسي"، الذي كان ضمن وفد وساطة الشيخ الدرقاوي؛ عن حقيقة الحال، فأخبره بأقوال الشيخ العربي الدرقاوي، وأكد له أن كل ما وقع كان من تدبير الشيخ الدرقاوي، وأن الأتراك ما بقي عندهم شك في أن تلك الأحداث كلها كانت بإغرائك ومنسوبة إليك³، فقرر السلطان سليمان رفض البيعة لوفد أهل تلمسان، ورد لهم هديتهم، وطردهم عن بابه، وقال لهم: " أرجعوا إلى بلادكم ولا حاجة لي بولايتكم وتوبوا إلى الله من فعلتكم"⁴، وما يفسر هذا التغير في موقف السلطان سليمان من ثورة ابن الشريف عموماً ومن البيعة بالخصوص؛ هو إدراك السلطان أن ميزان القوى بدأ

1- محمد البشير بن عبد الله الفاسي- المرجع السابق- ص 44.

2- محمد الخداري- المرجع السابق- ص 248.

3- أبي عبد الله محمد بن أحمد الكنسوسي- المصدر السابق- ص 284.

4- أبي عبد الله محمد بن أحمد الكنسوسي- المصدر السابق- ص 284..

يتحول لصالح العثمانيين، فتخلص السلطان من علاقته بثورة ابن الشريف التي وصلت لمنحى خطير لم يكن وارداً في حساباته، قد يؤدي إلى مواجهة عسكرية مباشرة مع العثمانيين.

إذ قام السلطان سليمان بتوجيه رسالة إلى باي وهران محمد المقلش، من أجل تبديد كل ما يعتري الأتراك من شكوك ومخاوف، خاصة مسألة الأطماع المغربية في أراضي الغرب الجزائري، ودعم ثورة ابن الشريف، وما جاء في هذه الرسالة قوله: "...وحمدا الله على سلامتكم... فهنيئاً لكم ثم هنيئاً، لأنكم أحباؤنا وأصدقائنا ... لا نحب لكم إلا ما تحبوه لأنفسنا ... يجب علينا أن نسر بما يسركم ونُساء بما يسوؤكم، ولا نهمل أمركم في الباطن، فكونوا على ثقة بمودة سلفكم.."¹، كما قدم السلطان سليمان في هذه الرسالة ضمانات للباي المقلش بعدم تدخله في شؤون الجزائر: بقوله: "... وناحتينا لا يأتيكم منها إلا ما فيه صلاح وسداد..."².

ومن خلال هذه الرسالة يتضح أن السلطان سليمان حسم موقفه من ثورة ابن الشريف بتأكيد الباي المقلش رفضه للبيعة، وثباته على موقفه الداعم لسياسة الحكام العثمانيين بالجزائر ضد الثائرين، إلا أن هذا الموقف في نظرنا جاء متأخراً، مما يوحي بالتردد الذي أبداه السلطان سليمان أمام هذه الأحداث المتسارعة.

وبمبادرة لإثبات حسن النية قام السلطان سليمان بإرسال قائده العسكري لمدينة تلمسان، لإصلاح ذات البين بين العرب والحضر من جهة، والأتراك والكراغلة من جهة أخرى، وذلك حتى يتمكن الباي المقلش من التحكم بزمام الأمور بالمدينة، بل وأمر قائده بالقبض على ابن الشريف إن لم ينهي الحرب، ويعيد معه وفد تلمسان، وقد أشار الناصري إلى ذلك بقوله: "...فبعث بالقائد أبا السرور عياد بن أبي شفرة الودبي، وأمره أن يحجز بين الحضر والترك حتى يقدم الباي إلى تلمسان، ورد معه الوفد الذين قدموا مع الشيخ وتقدم إليه بالقبض على ابن الشريف إن هو لم يرجع عن الحرب إلى السلم..."³.

4.4- دخول الباي محمد بن عثمان الطريقة الدرقاوية ومبايعته لسلطان المغرب: شهدت الفترة التي امتدت فيها ثورة ابن الشريف (1805- 1816م) مواجهات عسكرية عديدة بين

1- حسين جيلالي بن فرج - دحو فغور - المرجع السابق - ص 274.

2- نفسه.

3- أحمد بن خالد الناصري- المصدر السابق - ج 8- ص 111.

الدركاويين والحكام العثمانيين، لكن أهم ما ميزها أن الطريقة الدركاوية استطاعت أن تؤثر على بعض رموز النظام العثماني بالجزائر، وكان من بينهم باي بايلك الغرب محمد بن عثمان الملقب بـ"بوكابوس"، الذي انتهى سرياً إلى الطريقة الدركاوية، وأعلن تحالفه مع سلطان المغرب المولى سليمان.¹

وقد أشارت بعض المصادر إلى أن الطريقة الدركاوية استطاعت استقطاب بعض البايات العثمانيين، بينما اكتفت مصادر أخرى بالإشارة فقط إلى تمرد هؤلاء البايات على السلطة العثمانية، وعدم تساهل ديوان الجزائر معهم، وتعرضهم للقتل والتنكيل؛ حيث يشير الزباني إلى أن الباي بوكابوس رفض أمر الباشا بالالتحاق بحرب تونس، وخروجه عن سلطة الأتراك، ودخوله في طاعة ملك المغرب، فيقول: "...ولما نزل وادي يلل حدثته نفسه رفض أمر الباشا والخروج عن الأتراك في خفضه وعلاه، والدخول في سلك المغرب بوقته مولانا سليمان بن محمد بن عبد الله فأصبح معلناً بقتل الأتراك يا للعجب..."²، وهذا ما أكدته الزهار أيضاً بقوله: "...وبعثوا لباي وهران يستقدمونه، فتأخر، وجاءهم خبره بأنه ثار وفاق في وهران، فذهب عمر أغا إليه بمحلة..."³.

وحسب الوثائق الإسبانية التي نشرها الباحث مولاي بلحميسي، فإن الباي محمد بن عثمان قد طلب من إسبانيا والمغرب عام 1813م تزويده بالبارود، والذخيرة الحربية بغرض مراقبة السواحل لمنع الأسطول الجزائري القادم من العاصمة إذا حاول دخول ميناء وهران، وقد وعد الباي كلاً من إسبانيا، وإنجليترا بامتيازات اقتصادية في حالة تقديم العون ونجاح مشروعه التمرد ضد السلطة العثمانية،⁴ وحسب نفس الوثائق فقد ترقب الباي وصول مساعدات عسكرية من المغرب لدعم تمرده؛ وما جاء في إحداها: "وكل العرب في حالة استنفار

1- حنفي هلايلي- أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني- ط1- دار الهدى- عين مليلة- الجزائر- 1429هـ/2008م- ص 36.

2- محمد بن يوسف الزباني- المصدر السابق- ص 231.

3- أحمد الشريف الزهار- المصدر السابق- ص 107.

4- مولاي بلحميسي- "الثورة على الأتراك شواهد مستقاة من وثائق إسبانية لم تنشر"- مجلة الثقافة- العدد 46- وزارة الثقافة - الجزائر- نوفمبر-ديسمبر 1978- ص 46.

وقد ذبحوا عدداً كبيراً من العثمانيين ومن المتوقع أن يصل الأسطول المغربي لمدينة المساعدة لهذا الباي"¹.

وفي حدود اطلاعنا لم تذكر المصادر الجزائرية ولا المغربية شيئاً عن هذه المساعدات المغربية للباي بوكابوس، وتذكر فقط بيعته لسلطان المغرب المولى سليمان.² يرى بعض الباحثين أن إسبانيا لم تتمكن من الالتزام بوعدها للباي بوكابوس بسبب الاتفاقات المبرمة مع الجزائر أواخر القرن الثامن عشر ميلادي، كما أن المغرب لم يستطع مساعدة الباي بحكم محدودية إمكانياته العسكرية، كما أن سلطان المغرب المولى سليمان لا يريد الدخول في مغامرة عسكرية ضد الأتراك.³

وحسب الوثائق الأسبانية فقد أكد الباي محمد بن عثمان أنه على اتفاق تام مع السلطان سليمان، وذلك في رسالته التي جاء فيها: "لأننا ومولاي سليمان سلطان المغرب كلمة واحدة"⁴، ويذكر في رسالة أخرى عزمه الانفصال عن أيلة الجزائر معتمداً في مشروعه على سلطان المغرب، حيث أن المصادر التي اطلعنا عليها لم تؤكد أو تنفي قبول السلطان سليمان ببيعة الباي محمد بن عثمان، لكن الثابت أن تمرد الباي انتهى بالفشل، كما أن ردة فعل داي الجزائر على هذا التمرد كانت عنيفة جداً، حيث أمر الباي الجديد "قارة بغلي" بسلخ جلدة رأسه حياً وحشوه بالقطن، وإرساله إلى مدينة الجزائر لتعليق جثته على أبواب المدينة، وقتل أولاده وهم صبيان.⁵

5.4- هجرة بعض العائلات الجزائرية إلى المغرب الأقصى: ومن أثار ثورة ابن الشريف هجرة بعض سكان الغرب الجزائري للمغرب الأقصى، خاصة من مدينة تلمسان والمناطق المجاورة لها، حيث استقرت أغلب العائلات الجزائرية في مدينة فاس المغربية، وكان السبب الرئيسي لهجرة هؤلاء الجزائريين هو خوفهم من بطش وانتقام الحكام العثمانيين، وقد أشار الناصري إلى أن هجرتهم كانت بأعداد كبيرة حتى لم يبق لباشا الترك مع من يتكلم فضلاً عن أن يأمر على

1- نفسه- ص 42.

2- مسلم بن عبد القادر الوهراني- المصدر السابق- صص 103- 104 .

3- حنفي هلايلي- المرجع السابق- ص 36.

4- مولاي بلحميسي- المرجع السابق- ص 46.

5- مسلم بن عبد القادر الوهراني- المصدر السابق- ص 150.

حد قوله¹، حيث هاجرت قبائل جزائرية بأكملها إلى المغرب الأقصى خاصة القبائل الداعمة لثورة ابن الشريف كقبيلة بني عامر؛ والتي قام بايات وهران بإخلاء أراضيها، وهذا ما رصده مسلم بن عبد القادر بقوله: "...وتركت أوطانها قفرة لا تلقى من سلكها أنيس ولا أنس إلا اليوم والذئاب أهلها دخلوا المغرب وفارقوها من غير اختيار..."⁽²⁾.

كما هاجر بعض العلماء من مدينة تلمسان وغيرها، وذلك حتى لا يتخذوا موقفاً من ثورة ابن الشريف، وخوفاً من معاقبة الأتراك لهم قصد الانتقام؛ منهم القاضي "محمد بن سعيد بن الحاج الحسني التلمساني" الذي هاجر مع عائلته إلى المغرب، واستقر بمدينة فاس³، وكذلك الشيخ "محمد بن محمد بن ملوك التلمساني" الذي رحل إلى فاس، وأصبح يُدرس بجامع القرويين⁴، والشيخ "محمد بن الخضر المهاجي" الذي هاجر أيضاً إلى فاس واستقر بها حتى وفاته⁵.

أمام هذه الهجرات لبعض سكان بايلك الغرب؛ كتب الداوي للسلطان سليمان يطلب منه أن يقنع أهل تلمسان بالرجوع إلى بلادهم، وقد استجاب السلطان لطلب الداوي، وكلم هؤلاء في شأن الرجوع، لكنهم رفضوا وقالوا له: " نذهب إلى بلاد النصرى ولا نجاور الترك فنجمع علينا الجوع والقتل..."⁶، ويرى بعض الباحثين أن السلطان سليمان استغل الوضعية المزرية للمهاجرين الجزائريين ليستعملها كأداة ضعف ضد السلطة العثمانية بالجزائر، حيث استمال هؤلاء المهاجرين، وخصص لهم رواتب وأماكن للاستقرار⁷.

5- نهاية ابن الشريف الدرقاوي: كان ابن الشريف الدرقاوي كلما انهزم في معركة إلا وظهر من جديد في منطقة أخرى، إذ عاود الظهور من جديد في منطقة "مرغوسة"، فأسرع الباي مصطفى

1- أحمد بن خالد الناصري- المصدر السابق- ص 111.

2- مسلم بن عبد القادر الوهراني- المصدر السابق- ص 93.

3- محمد بن جعفر الكتاني- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس- تحقيق عبد الله الكامل الكتاني وآخرون- دار الثقافة - الدار البيضاء- 2004- ج 3- ص 78.

4- نفسه- ص 356.

5- نفسه- ص 349.

6- أحمد بن خالد الناصري- المصدر السابق- ص 111.

7- حنفي هلايلي- المرجع السابق- ص 39.

العجمي نحوه، وهزمه وتمكن من قتل العديد من أتباعه، وغنم الكثير من أمواله¹، بعد ذلك عُين الباي مصطفى العجمي خزانجياً بمدينة الجزائر²، وخلفه الباي محمد بن عثمان الملقب بأبي كابوس؛ الذي عزم على إنهاء ثورة ابن الشريف، والانتقام من أتباعه، حيث اتبع أسلوباً عنيفاً ضدهم، فقام بملاحقة الدرقاويين أينما كانوا، فاتجه نحو مناطق قبيلة "اليقوبية" التي تحالفت مع ابن الشريف وهزمهم، وتمكن من قتل العديد من الدرقاويين.³

بعد الهزائم التي توالى على ابن الشريف؛ قصد بلاد الأحرار عام 1809م لكنهم طردوه، فانتقل إلى عين ماضي بالأغواط غير أنه لم يجد تجاوباً من سكانها الذين أبعدوه لما علموا مقصده، الأمر الذي جعل ابن الشريف يلجأ إلى قبيلة "بني يزناسن" التي استجابت لطلبه⁴، فتزوج من ابنة الشيخ "بوترفاس" وهو من قبيلة ترارة، ثم اختفى بعد ذلك.⁵

وبالرغم من الهزائم التي لحقت بابن الشريف على يد الباي بوكابوس، إلا أنه حاول التحرك مرة أخرى في عهد الباي الجديد "علي قارة باغلي" الذي استطاع هزيمة الدرقاويين في معركة "بني مراد" عام 1813م، التي مات فيها خلق كثير؛ منهم أغا الدواير "قدور الصغير بن إسماعيل"، وقائد الزمالة "محمد بن قدور"، وقد قام الباي باغلي بالسير من جبال ترارة إلى تلمسان ثم وهران، وبذلك استطاع القضاء على ثورة ابن الشريف الدرقاوي.⁶

إن نهاية ابن الشريف مازال يكتنفها الغموض بسبب الاختلاف في الروايات، فالمصادر المحلية، وحتى الأجنبية اختلفت حول تحديد تاريخ ومكان وفاته، فالزباني ومسلم بن عبد القادر يتفقان على أن نهايته كانت ببني يزناسن على الحدود المغربية جراء الوباء عام 1809م⁷، في حين تؤكد الوثائق العثمانية أن ابن الشريف ظهر عام 1816م مدعياً أنه المهدي المنتظر، حيث جاء في رسالة الداوي عمر باشا التي كتبها إلى السلطان العثماني في جوان 1816م، ما يلي: "أننا نطلب من حضرة السلطان

8- الأغا بن عودة المزاري- المصدر السابق- ص 326.

1- يحي بوعزيز- مدينة وهران عبر التاريخ- طبعة خاصة - دار البصائر- الجزائر- 2009- ص 72.

2- ابن سجنون الراشدي- المصدر السابق- ص 45.

3- محمد بن يوسف الزباني- المصدر السابق- ص 227.

4- مسلم بن عبد القادر الوهراني- المصدر السابق- ص 98.

5- نفسه- ص 107.

6- محمد بن يوسف الزباني- المصدر السابق- ص 223.

مساعدتنا بمدنا بالأسلحة خصوصاً عندما ظهر هذا المهدي الكاذب منذ خمس عشر سنوات في غرب وشرق الجزائر¹.

الخاتمة: تبين لنا من خلال استعراض عناصر المقال، أن نخلص إلى مجموعة من النتائج يمكن إدراجها على النحو الآتي:

- أن ثورة ابن الشريف الدرقاوي قد أثرت تأثيراً مباشراً على العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب الأقصى مطلع القرن التاسع عشر ميلادي، وذلك من خلال تبادل الرسائل الدبلوماسية بين حكام البلدين رغم الخلافات السياسية بينهما، كما أن هذه الثورة استطاعت تعبئة الناس ضد الحكم العثماني بالجزائر، وحاولت ضم غرب الأيالة للمغرب الأقصى، وذلك بإعلان بيعتين للسلطان المغربي المولى سليمان، فتركت بذلك تجاذبات، وانطباعات امتدت إرهاباتها إلى غاية الغزو الفرنسي للجزائر.

- أدت ثورة ابن الشريف الدرقاوي إلى هجرة بعض سكان الغرب الجزائري للمغرب الأقصى والذين استقر أغلبهم بمدينة فاس المغربية، حيث هاجرت قبائل جزائرية بأكملها إلى المغرب خاصة القبائل الداعمة لثورة ابن الشريف كقبيلة بني عامر وغيرها.

- استطاعت ثورة ابن الشريف أن تؤثر على بعض رموز النظام العثماني بالجزائر أمثال الباي محمد بن عثمان باي بايلك الغرب الذي انتهى سرياً للطريقة الدرقاوية، وأعلن بيعته لسلطان المغرب المولى سليمان، إذ عزم الباي الانفصال عن إيالة الجزائر معتمداً في مشروعه على سلطان المغرب، غير أن السلطات العثمانية انتقمته منه انتقاماً شديداً، بعدما تأكدوا من تمرده ضدهم، وتحالفه مع سلطان المغرب الأقصى.

- رغم مساندة سلطان المغرب المولى سليمان لثورة ابن الشريف الدرقاوي، إلا أنه لم يقدم الدعم الفعلي لها، بل تخلى عنها بعد تحولها إلى مسار خطير قد يؤدي إلى مواجهة عسكرية مباشرة مع العثمانيين، غير أن السلطان سليمان استغل انشغال العثمانيين بإخماد ثورة ابن الشريف لصالحه؛ وذلك باحتلاله لبعض الأراضي الجزائرية بالجنوب الوهراني.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- أبو زيان الغريسي- كنز الأسرار في مناقب مولانا العربي الدرقاوي وأصحابه الأخيار- مخطوط بالخزانة العامة بالرباط- د 2339.
- 2- أبي عبد الله محمد بن أحمد الكنسوسي- الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي- تقديم وتحقيق وتعليق أحمد بن يوسف الكنسوسي- المطبعة الوراقة الوطنية- مراكش- 1994.

- 3- أحمد ابن سحنون الراشدي- الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني- تحقيق المهدي البوعبدلي- مطبعة البعث- قسنطينة- 1973.
- 4- أحمد الشريف الزهار- مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر 1754-1830م- تحقيق وتقديم أحمد توفيق المدني- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر- 1974.
- 5- أحمد بن خالد الناصري- الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى- تحقيق وتعليق جعفر الناصري – محمد الناصري- دار الكتاب- الدار البيضاء- 1997.
- 6- الأغا بن عودة المازري- طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر- تحقيق ودراسة يحي بوعزيز- دار البصائر- الجزائر- 2009- ج1.
- 7- محمد بن جعفر الكتاني- سلوة الأنفاس ومحاذة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس- تحقيق عبد الله الكامل الكتاني وآخرون- دار الثقافة- الدار البيضاء- 2004.
- 8- محمد بن يوسف الزباني- دليل الحيوان وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران- تقديم وتعليق المهدي البوعبدلي- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر- 1978.
- 9- محمد بن عبد القادر- تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر- المطبعة التجارية- الإسكندرية- 1903.
- 10- محمد بن عبد السلام الرباطي- تاريخ الضعيف الرباطي- دراسة وتحقيق محمد البوزيدي الشيعي- ط2- دار الثقافة- الدار البيضاء- المغرب- 2007- المجلد 02.
- 11- مسلم بن عبد القادر الوهراني- تاريخ بايات وهران المتأخر أو خاتمة أنيس الغرب والمسافر- تحقيق راج بونار- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر- 1974.
- 12- محمد خير فارس- تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي- ط1- مكتبة دار الشرق- بيروت- لبنان- 1979.
- 13- محمد البشير بن عبد الله الفاسي- قبيلة بني زروال مظاهر حياتها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية- مطبوعات المركز الجامعي للبحث العلمي- كلية الآداب- الرباط- 1962.
- 14- محمد العربي الزبيري- التجارة الخارجية للشرق الجزائري (1792-1830م)- ط2- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر- 1984.
- 15- سعد الله أبو القاسم- تاريخ الجزائر الثقافي من القرن 10 إلى 14هـ (16-20م)- ط1- دار الغرب الإسلامي- بيروت- 1998.
- 16- سعيدوني ناصر الدين- النظام المالي الجزائري أواخر العهد العثماني- ط3- دار البصائر- الجزائر- 2012.
- 17- سعيدوني ناصر الدين- المهدي البوعبدلي- الجزائر في التاريخ العهد العثماني- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر- 1984- ج4.
- 18- يحي بوعزيز- مدينة وهران عبر التاريخ- طبعة خاصة- دار البصائر- الجزائر- 2009.
- 19- حنفي هلايلي- أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني- ط1- دار الهدى- عين مليلة- الجزائر- 1429هـ/ 2008م..
- 20- الغالي الغربي- "الحياة السياسية في نيابة الجزائر إبان عصر الدايات ثورة ابن الشريف الدرقاوي ضد الأتراك في مطلع القرن التاسع عشر"- مجلة الدراسات التاريخية- العدد 10- جامعة الجزائر- 1997.
- 21- حسين جيلالي بن فرج- دحوقغورور- "موقف المولى سليمان العلوي من انتفاضة درقاوة على ضوء رسالته لباي وهران محمد المقلش"- مجلة عصور- المجلد 13- العدد 01- جامعة وهران- الجزائر- جانفي- جوان 2018.
- 22- حنفي هلايلي- "الثورات الشعبية في الجزائر أواخر العهد العثماني كرد فعل على سياسة التهميش"- مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية- العدد 20- قسنطينة- الجزائر- ربيع الأول 1427هـ/أفريل 2006.
- 23- خالد طحطح- "صراعات الزوايا والسلطة في المغرب خلال عهد الدولة العلوية من خلال مسارات متقاطعة"- مؤسسة مؤمنون بلا حدود- الرباط- المملكة المغربية- 2015.
- 24- مولاي بلحميسي- "الثورة على الأتراك شواهد مستقاة من وثائق إسبانية لم تنشر"- مجلة الثقافة- العدد 46- وزارة الثقافة- الجزائر- ديسمبر 1978.
- 25- محمد الخداري- "دور الزوايا والطرق الصوفية في العلاقات بين المغرب وولاية الجزائر حالة الزاوية الدرقاوية من 1786 إلى 1823م"- أطروحة دكتوراه في التاريخ- كلية الآداب- جامعة محمد الخامس- الرباط- 2004/2005.
- 26- عبد الحق شرف- "الحسام المشرفي لقطع لسان الساب الجعري الناطق بغرافات الجعسوس سيء الظن الكنسوسي للعربي المشرفي دراسة وتحقيق"- أطروحة دكتوراه- قسم الحضارة الإسلامية- جامعة وهران- 2010/2011.